

## الفصل الخامس

### وسائل الإعلام العالمية، هل هي فضاء عالمي عام؟

يقفز الدور الذي تضطلع به وسائل الإعلام العربية ذات البعد القومي في وقت الأزمات عادة، إلى واجهة الاهتمام والحوارات في الغرب. حينها تخضع التغطية العربية للصراعات والحروب لتمحيص منظم، وتتم دوماً مقارنتها بالتغطية التي تقوم بها وسائل الإعلام الإخبارية الأوروبية والأمريكية. كما يظهر هنا أيضاً "الصدام بين الأصوات" بصفته افتراضاً يتلظى خلف عملية التمحيص التي تهدف إلى تبيان السبب وراء الملامح الخاصة للتغطية الإخبارية في كل واحد من تلك السياقات الثقافية. قمت سابقاً باستعراض الاتهامات المتبادلة بين المهنيين العرب والأمريكان بخصوص تغطية الحرب على العراق، حيث كان الموضوع المركزي هو تعليق أولئك المهنيين على المعلومات - أي التقارير والصور - حول الحرب<sup>1</sup>.

يُعدُّ التفسير الخاطئ للتعطية التي تقوم بها وسائل الإعلام عند الطرفين دليلاً قوياً على "الانعكاسية" المتزايدة في فضاء وسائل الإعلام العالمية، حيث يكرس مهنيو وسائل الإعلام خلافاتهم المهنية والأخلاقية. كما يشير إلى وجود فضاء إعلامي عالمي لا تخضع فيها فقط الأحداث للتمحيص الدائم، بل الطريقة التي تتم فيها عملية نقلها أيضاً.

تعكس الاتهامات التي يوجهها بعض الصحفيين الغربيين لوسائل الإعلام الإخبارية العربية التوتر القائم بين "جماعتين تأويليتين"<sup>2</sup>. وهكذا، يمكن أن يؤدي تحليل المنتج الصحافي الصادر عن جماعات متعددة إلى تسليط الضوء على الاختلاف بين القيم ووظيفة الأخبار عند كل واحدة من هذه الجماعات، والكيفية التي تتشكل بها فكرة "الدخلاء" في عملية الممارسات المهنية التي تقوم بها إحدى هذه الجماعات بالمقارنة بمثيلاتها عند الجماعات الأخرى. تساعد رؤية الصحفيين في المؤسسات الإعلامية العربية، وهؤلاء يشكلون جماعة تأويلية لها ممارساتها الخاصة بها بالمقارنة بالمؤسسات الإعلامية الأمريكية على سبيل المثال، في إلقاء الضوء على الصراع بين هذه الجماعات من أجل إعطاء هوية ومعنى لممارساتهم الصحفية ومعاييرهم المهنية.

إضافة إلى ما تقدم، يمكن القول إن الحوار الدائر بين الصحفيين يشير إلى قضية الموضوعية بوصفها سمة مهمة من سمات المراسل الصحفي المثالي. فمن الواضح أن مسألة الموضوعية في هذا السياق

- في تغطية الحرب الدائرة حالياً، على سبيل المثال - لا تتعلق بموضوع الزيف مقابل الدقة (أي فيما إذا كان الصحفيون العرب قد قاموا بنقل الحقيقة، أو ذُورواها في تقاريرهم الإخبارية)، بل باحتمال أنه من خلال التركيز على الضحايا العراقيين، فإن بعض وسائل الإعلام العربية يمكن أن توجه إليها اتهامات بتأجيج حدة الصراع بين الشرق والغرب، بدلاً من محاولة إخماده؛ بالرغم من حقيقة أن تلك التقارير كانت تحمل في طياتها تصويراً لبعض ما كان يجري في الواقع. المهم هنا هو مصداقية الصحفيين كمهنيين في قلب منطقة الصراع؛ أو بعبارة أخرى، يمكن القول إن ما يهم في هذا المجال هو "أي جزء من أجزاء الحقيقة تم إيراده في وسائل الإعلام و"كيف" تمت عملية إيراده. وإذا، فإن من غير المتوقع أن يكون الصحفي مراقباً تقليدياً، بل "مراقباً مثالياً"<sup>3</sup>. يرى ماثيو كيران أن إحدى السمات المهمة لمثل ذلك المراقب تكمن في إيجاد نوع من التوازن بين كونه حيادياً، وبين كونه في الوقت نفسه، مهتماً بالمشاعر والعواطف الإنسانية؛ ومن ثم، "متفهماً لتلك الشخصيات من الداخل"<sup>4</sup>.

يهدف هذا الفصل إلى مناقشة دور الصحفيين بصفتهم وسطاء وممهدين لما يطلق عليه وصف "الفضاء العام العالمي". تركز المناقشة التالية على دور الصحفيين العرب في هذا الفضاء العالمي الجديد، وحضورهم في فضاء السلطة السائد. تتمثل النقطة المحورية لهذه المناقشة فيما إذا كان هذا الفضاء العالمي الجديد لا يزال يحمل في طياته أفكاراً تتعلق بالمركز في مقابل الأطراف؛ وفيما إذا كان بإمكاننا

الحديث عن ممارسات صحفية سائدة عند تطبيقها على ميدان الصحافة. يلعب ميدان الصحافة دوراً محورياً في تشكيل الفضاء العام الحديث الذي يتمثل بدقة في قدرته على أن يكون منصة تنطلق من على منها أصوات متنوعة كأساس لإطلاق أحكام منطقية. ولكن بدلاً من استعراض المنطق من خلال معايير عالمية (هابيرماسية) بوصفها حجر الزاوية في الفضاء العالمي (العام)، فإنني أقترح تطبيق رأي بوردو حول المنطق، حيث يُعدُّه "قانون اللعبة"، الطارئ على الميدان الذي يتموضع فيه. كما سبق لي القول في الفصل الأول من هذا الكتاب، أرى أن رأي بوردو يساعدنا على رؤية الصحفيين بصفتهم فريقاً يقوم بتشكيل "جماعة تأويلية". تتجلى النقاط المحورية في هذه المناقشة في علاقات السلطة والهويات الهجينة التي تتشكل في المشهد الإعلامي العالمي.

يتجلى إطار هذا الفصل على الشكل التالي: أولاً، أقوم بمناقشة الخطوط العامة للفضاء العالمي العام، مركزة على موضوع تدفق المعلومات كشرط أساسي للمشاركة المنطقية في هذا الفضاء. أقوم بعد ذلك بمناقشة دور الصحفيين العرب في تسهيل هذه المشاركة، مركزة خصوصاً على فكرة التهجين، ومتقصية دور الصحافة بصفتها جسراً ثقافياً بين (الأخر) العالمي والذات المحلية. وكما سأبين تالياً، فإن دور الصحفيين كوسطاء في هذا الفضاء العالمي يجب أن يأخذ في الحسبان الطريقة التي يرسمون بها هويتهم، وتأثير هذه الهوية في مسألة الوساطة في الحوارات العامة. وفي محاولة مني لإثبات وجهة نظري،

أقدم تحليلاً لتغطية الحرب على العراق في أربع من الصحف العربية المهاجرة ذات البعد القومي من أجل إثبات:

(1) الأدوار الهجينة التي يمارسها الصحفيون، خصوصاً في وسائل الإعلام الهجينة المتمثلة في الصحافة العربية ذات البعد القومي.

(2) كي أتعلم في مناقشة فكرة الهيمنة في هذا الفضاء العالمي. وسوف يطرح هذا التحليل بتفصيل أكبر في الفصل السادس من هذا الكتاب.

كما سأبين لاحقاً، فإن الهيمنة ليست كما يُعدها الباحثون العرب مسألة تتعلق بتدفق المعلومات من المركز باتجاه الأطراف؛ بل تتجلى في توزيع السلطات بين اللاعبين في الجماعة الصحفية العالمية. أؤكد بناء على هذا التحليل، أن النظرة إلى الصحفيين (على امتداد العالم) بوصفهم جماعة "تأويلية" موحدة، تستثني مسألة إبراز الخلافات أو الصراعات فيما بينهم.

## الفضاء العالمي العام.. حلبة حوارية

قام عدد من الباحثين باستخدام الفكرة الهايبرماسية حول الفضاء العام كحلبة للتواصل المدني و"النقاش العقلاني"، ومن ثم قاموا بتطويرها كنموذج معياري للحياة المدنية التي يمكن تطبيقها على المستوى العالمي. في الوقت نفسه، أثارت عولة وسائل الاتصال

الإخبارية جدلاً أكبر صبَّ في صالح الفضاء العالمي المشترك. ازدادت وتيرة الإلمام بالأحداث التي وقعت في أماكن بعيدة، كما ازداد حضورها بسبب انتشار القنوات الفضائية التلفزيونية وشبكة الإنترنت. لو أردنا أن نكون أكثر دقة، يمكننا القول إن ما تشير إليه هذه الفكرة هو قدرة وسائل الإعلام الإخبارية على استحضار الأحداث التي تجري في أماكن بعيدة خارج نطاق الحدود المكانية والزمانية لحياة المشاهدين العادية. أصبحت مسألة الحضور، كما يقول جون طومسون<sup>5</sup>، السمة الرئيسة لهذا الفضاء العام الجديد.

تم لاحقاً تبني موضوع الفضاء العام بصفته حلبة للتواصل المدني و"النقاش العقلاني" من قبل عدد من الباحثين، وتطويره "كنموذج معياري لحياة مدنية نموذجية"<sup>6</sup>. يؤكد إنغريد فولكمير على سبيل المثال، وجود فضاء عام عالمي جديد، وأن هذا الفضاء "أصبح فضاء مجتمعياً إضافياً عالمياً يتصف بالوسطية تعززه شبكة الإنترنت بشكل خاص"<sup>7</sup>. تُعدُّ شبكة الإنترنت في واقع الأمر محركاً عالمياً وتشكل بنية تحتية للنشاطات العامة. يشير ستريت<sup>8</sup> على سبيل المثال، إلى استخدام الإنترنت من قبل الناشطين العالميين من أجل تنظيم مظاهرات في مختلف أنحاء العالم (ناهيك عن استخدام الإنترنت من قبل مجموعات إرهابية عالمية). لكن هارفارد يؤكد من ناحيته أن "عولمة الاقتصاد والحكومات والثقافة لم تترافق بعولمة مشابهة للفضاء العام، وأن صناعة الرأي العام ما زالت ترتبط إلى حد كبير بسوية المؤسسات السياسية الوطنية"<sup>9</sup>. إن ما يجب الاعتراف به هنا هو أن الترابط

المتزايد بين دول العالم، والانتشار السريع للأخبار العالمية بما في ذلك أخبار الحروب والكوارث التي تبثها القنوات الفضائية العالمية، يجب أن يكون له تأثير في الرأي العام في مشرق العالم ومغربه.

تعيد فكرة الفضاء العالمي العام إلى الأجندة قضايا تتعلق بالاتصالات التي تتدفق من "المركز" إلى "الأطراف"، كما أكد ذلك غالتونغ في رؤيته الكلاسيكية لبنية الإمبريالية<sup>10</sup>. كان التركيز حينها يقع على الاعتماد البنيوي المتبادل بين النخبة التي تحتل المركز وبين الأطراف، وهو ما يدفع بالممارسات المؤسساتية باتجاه مثيلاتها في المركز المهيمن، ويؤكد القيم التي يتحلّى بها هذا الأخير. ترى عواطف عبد الرحمن<sup>11</sup> أن الثورة في مجال الاتصالات العالمية تخدم مصالح الثقافات المهيمنة التي تحتل المركز، وذلك من خلال نشر قيمها وأساليبها في الوقت الذي تقوم فيه بتهميش ثقافات الأطراف المحلية. من ناحية أخرى، يشير باحثون آخرون<sup>12</sup> إلى صعوبة التواصل بين (المركز) المهيمن و(الأطراف) المهيمن عليها، وهو ما يزيد من صعوبة التدفق البيئي أو السببي لهذه القيم.

يُنظر إلى عملية تدفق المعلومات كأساس لازدهار مثل هذا الفضاء العالمي. كما أنه يعني حضور (الأخر) (الأطراف) في فضاء السلطة المهيمنة (المركز). يطرح ثوسو على بساط البحث فكرة التدفق المعاكس، كوسيلة لإعطاء فرصة "للتابع كي يعبر عن رأيه"، وهو يثبت بذلك أن "الحركة ليست باتجاه واحد فقط - أي من الشمال إلى الجنوب"<sup>13</sup>. يرى فولكمار أنه لا يوجد بعد الآن مركز أو أطراف بل

فضاء وسطي يتصف بالاستطردادية التعددية تتحرك ضمنه أنظمة إعلامية "مستقلة استقلالاً ذاتياً" لا يهيمن فيها أي لاعب بعينه "على مجريات اللعبة"<sup>14</sup>. مع ذلك، لا يزال المشهد الإعلامي العالمي حلبة للمنافسة: أي استعراض للقوة، وفي الوقت نفسه استعراض لمقاومة هذه القوة؛ بمعنى آخر، يعرض هذا المشهد لهيمنة المركز، وفي الوقت نفسه، لحركات مقاومة هذه الهيمنة من قبل الأطراف. إن الرأي القائل بأن المشهد الإعلامي العالمي لا يحتوي على "لاعبين مهيمنين"، كما سأؤكد لاحقاً، يستثني موضوع الصراع على السلطة بين الصحفيين (أي مهنيي وسائل الإعلام) من أجل بناء هوياتهم المهنية، وما يتضمنه هذا الصراع من منظور تحديد الاختلاف فيما بينهم.

### الصحافة العربية والدولة الحديثة

بدأت الصحافة تلعب دوراً مهماً في تشكيل الفضاء العام الحديث، بالرغم من أن هذا الدور يحمل في طياته بعض التناقض. من ناحية أخرى، يعزو هايبيرماس<sup>15</sup> انحسار الفضاء العقلاني العام إلى انتصار الرأسمالية ونشوء وسائل الإعلام الجماهيرية التي تزيد من حدة شذمة الجماهير التي يتم التعامل معها بصفتها مجرد متلقية لوسائل الاتصال الجماهيرية والإعلانات. من ناحية أخرى، يرى طومسون أن المؤسسة الإعلامية دوراً حاسماً في تطوير "الديمقراطية المبنية على الحوار"، حيث تعرض بوضوح الأفكار المتباينة كافة؛ وهو ما يؤدي إلى إمكان أن يقوم الأفراد بإطلاق "أحكام منطقية"<sup>16</sup>.

يرى دالغرين<sup>17</sup> أن عملية تحليل الموضوعات والبنية الاجتماعية للفضاء العام يجب أن يعقبها تحليل للمؤسسات الإعلامية - على سبيل المثال، الضوابط التنظيمية والملكية ودور التقانة - بالإضافة إلى التمثيل الإعلامي والفوارق بين الأنماط المختلفة. استمر هايرماس في كتابه الذي أصدره لاحقاً<sup>18</sup> في البناء على نظرية أن المعرفة كما طرحت استطرادياً في الحوارات المختلفة تسلط الضوء على ما تقوم به وتغذيه. هنا بالضبط، تكتسب الصحافة أهميتها القصوى كوسيط ومروج لمثل هذه الحوارات وذلك من خلال توحيد الجماهير المتباعدة جغرافياً، وجعلها تبدو وكأنها جمهور واحد ذو مصالح مشتركة. تشكل المعلومات إذاً، أساساً لقيام مثل هذا النوع من الحوار: حيث يمكن "الوصول إلى معلومات موثوقة من منظورات مختلفة، وآراء متعددة حول قضايا الساعة؛ ومن ثمَّ يصبح بإمكان المواطنين بناء آرائهم الخاصة بهم حول القضايا المهمة، وتهيئة أنفسهم للمشاركة في العملية السياسية"<sup>19</sup>. المعلومات إذاً، هي حجر الزاوية في عملية التنوير هذه؛ ويُعدُّ تدفق الأخبار "هدية كبيرة، كبيرة"<sup>20</sup>. ومن المتفق عليه على نطاق واسع أيضاً، أن المعلومات الحرة هي من الشروط الأساسية للعملية الديمقراطية، وأنها السبب الذي حدا ببعض أنظمة الحكم الاستبدادية إلى وضع قيود على التدفق الحر للمعلومات، أو ممارسة احتكار لقنوات المعلومات من أجل إبقاء شعوبها في بوتقة الجهل بما يجري<sup>21</sup>.

يفترض أن الجمهور العربي (أو ما يطلق عليه شعبياً وصف "الشارع العربي"<sup>22</sup>) قد وقع فريسة سهلة لغياب الروح المهنية عند

بعض الصحفيين الذين تنحصر مهامهم في تأجيج الروح العدائية ضد الأمريكيين<sup>23</sup>. يطلق نسبية وآخرون<sup>24</sup> فرضية أن مشاهدة وسائل الإعلام المعروفة بعوائدها للأمريكيين يمكن أن ينتج عنها مثل هذا الموقف تجاه الولايات المتحدة بين المشاهدين العرب. يعكس هذا الرأي موقفاً انتشر بين العديد من الأمريكيين، الذي يرى في "قناة الجزيرة ووسائل الإعلام العربية الجديدة قوة عدائية أساسية تساهم في تأجيج العداء لكل ما هو أمريكي، وتزيد من تعقيدات أهداف السياسة الخارجية في العراق وإسرائيل والحرب على الإرهاب، وقضايا أخرى"<sup>25</sup>. يكمن الخوف هنا من موضوع تشويه المعلومات، أو خرق مبدأ المصادقية والإجماع اللذين يشكلان جزءاً لا يتجزأ من حراك الفضاء العام (العالمي).

يمكن أن ينطبق الرأي نفسه على الصحفيين كميسترين مثل هذه الحوارات العامة. يذكرنا زياني<sup>26</sup> على سبيل المثال، بالمشكلات التي تحيط بصحفيي قناة الجزيرة، ومحرريها الذين تم إغلاق مكاتبهم في بعض الدول العربية بعد قيام هذه القناة ببث بعض البرامج الحوارية "الجريئة". في مثل هذه الحالات، يتم النظر إلى الصحفيين بصفتهم أبطالاً يتحملون الكثير من المتاعب في سبيل سعيهم نحو الحقيقة، ويتعرضون لمواجهات قاسية مع السياسيين والحكومات. يعزز هذا من صورة الصحفيين بصفتهم "حراساً" للحقيقة، وهي صورة كرستها تقارير جريئة وحلقات من التحقيقات التي قاموا بها<sup>27</sup>. وهكذا، فكلما ازدادت حدة المشكلات التي يواجهونها، ازداد حجم البريق والشهرة

اللذين يتمتعون بهما، وهو ما يجعل مصداقيتهم ترتبط بمدى الكم من العداء الذي تكنه لهم أنظمة الحكم القائمة. ولكن إذا لم يستطع الصحفيون لعب مثل هذه الأدوار البطولية وذلك بسبب اكتفائهم بترداد التصريحات الرسمية، فإنهم يتعرضون لانتقادات شديدة، ويقعون فريسة الخطاب السلطوي<sup>28</sup>. ولذلك فنحن نميل إلى قياس نسبة المصدقية الصحفية بمدى المسافة التي تفصل بين وسائل الإعلام وبين الخطاب الحكومي.

تستثير هذه الصورة، صورة الصحفي الغربي "كباحث عن الحقيقة"، وهي صورة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من ميدان الصحافة العربية كنتيجة لعملية التهجين الجريئة (انظر الفصل الأول)؛ ذلك أن عملية التهجين في الأنماط الإخبارية والحوارية في الصحافة العربية تبدو وكأنها تثير الحماس في الدوائر الغربية كعلامة من علامات التوير والتقدم.

### التهجين في وسائل الإعلام العربية

يشير التهجين عادة إلى الناتج الناجم عن مزج اثنتين أو أكثر من السمات المختلفة ثقافياً بحيث يصبح الناتج سمة مدمجة جديدة مثل موسيقى الروك اللاتيني، وموسيقى البوب الصيني ومعرض الأزياء الإسلامي<sup>29</sup>. التهجين إذاً هو عملية دمج للسمات والممارسات الغربية (من موسيقى وأزياء) بالنسيج المحلي (خصوصاً في بلدان العالم الثالث مثل أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط) الهدف منها هو إعادة

صياغة مفهومات جديدة ( حديثة ) للهوية الأصلية. تستخدم عملية صياغة هذه الهوية الجديدة أدوات غربية: كاستخدام التقانة المتقدمة في عملية تحرير الأخبار، وتقانات البث المباشر، وحتى الأسلوب واللغة تأثراً بعملية التهجين هذه<sup>30</sup>. فالتهجين لا يمكن دراسته فقط من خلال النصوص والسّمات كالموسيقى أو لغة الأخبار، بل يمكن أن يتبدى في الدور الذي يلعبه الوسطاء ( كالموسيقين وقارئ الأخبار والمعلمين ).

يؤكد توملينسون أن التهجين هو النتاج الطبيعي "لذوبان الرابط بين الثقافة والمكان"<sup>31</sup>. إنه الطفو الحر للسمات الثقافية عبر الفضاءات الجغرافية والثقافية، والجاهز لتقديم نفسه والاندماج والمحاكاة بقدر ما تتطلبه الحاجات المحلية. وصف أحدهم هذه العملية بالقول إنها "خليط ومزيج؛ قليل من هذا وقليل من ذاك هو ما يضي الجِدّة على العالم؛ وهو ما حاولت أن أتمسك به"<sup>32</sup>. ولكن بالمقابل، يمكن أن ينظر إلى التهجين بصفته تهديداً للثقافة الأصلية والتقاليد، وانتصاراً للثقافة المسيطرة<sup>33</sup>. يذهب كريدي<sup>34</sup> إلى أبعد من ذلك حين يشير إلى الحاجة المتزايدة لدمج عملية التهجين بنظرية الاتصالات من أجل تحليل التأثير الذي تحدثه هذه العملية، أي تبيان ما إذا كان هذا الخليط شيئاً يجب الاحتفاء به، أو ما إذا كان يحمل في طياته هيمنة ثقافية، ويخفي بين ثناياه الشعور بالظلم.

لكن الدور الذي يلعبه المهني الإعلامي يمتاز بأهمية خاصة ضمن سياق هذا البحث. ففي السياق العربي، لا يتجسد هذا الدور ضمن المعايير الماهيوية سواء في الثقافة الأصلية أو الثقافة ( الغريبة )

المسيطرة؛ بل يظهر كنتاج هجين يصدر عن التمازج بين ثقافتين مختلفتين. تبدو وسائل الإعلام في البلدان النامية وكأنها تضع قيوداً على الحوارات النقدية من خلال "الالتزام الصارم بالخط الرسمي"<sup>35</sup>. يتناول ثوسو<sup>36</sup> مثل هذه الوسائل الإعلامية الهجينة في الهند، حيث تأخذ نشرات الأخبار التلفزيونية أشكالاً أمريكية مناسبة، وتضعها ضمن قوالب هندية. لا يتم تقليد الممارسات الغربية فقط لأنها تبدو "فعالة"، بل لأنها جزء من عملية استيلاء النفوذ وتجميع لرأس المال في الميدان المحلي الأصلي. فعلى سبيل المثال، تحتوي المواد التي تنتجها محطة CNN على "رأسمال ثقافي" أكبر حجماً من الأخبار التي تبثها المحطات المحلية<sup>37</sup>، ومن ثمَّ فهذه المواد تتمتع بقدر كبير من الشرعية. وإذا، لا بد لوسائل الإعلام الإخبارية العربية أن تؤقلم ممارساتها من أجل أن تقاس هذه الممارسات بواسطة جهاز القياس الغربي هذا؛ وهكذا يتطور النمط الإخباري نفسه بحيث يعكس هذه الممارسات الجديدة.

يؤكد عبد النبي<sup>38</sup> ضمن توصياته للصحفيين العاملين في الصحافة المكتوبة، أهمية التعامل مع الأخبار الواردة من وكالات الأنباء العالمية بطريقة نقدية، ويقترح تأسيس لجنة متعددة التوجهات للتعامل مع الأخبار الواردة. يؤكد بذلك أهمية المهنيين الذين يتعاطون في مجال الأخبار كوسطاء بين الثقافات والأيديولوجيات، معتمدين في ذلك على مستوى تعليمهم ومعرفتهم بالآخر (أي رأسمالهم الثقافي) من أجل غرلة كل ما يرد إليهم، وتصنيفه حسب فائدته وأهميته ضمن

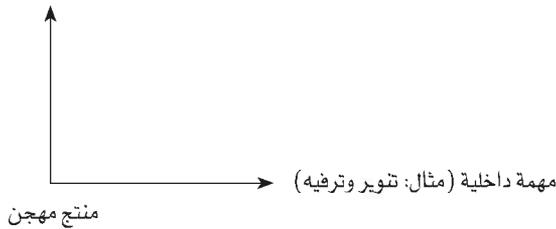
السياق المحلي. على الصحفيين إذاً، أن يكونوا على دراية تامة بالسمات الثقافية السائدة، وذلك كي يكون بإمكانهم تحديد القيم الكامنة في الثقافات الأجنبية؛ ومن ثمّ بناء تمثيل للواقع على محمل أقل قيمة بالنسبة لجمهورهم. يتقاطع ذلك بشكل كامل مع الرأي السائد حول الصحفيين أنفسهم بوصفهم "ناقلي معلومات" بدلاً من كونهم معلقين على الأحداث.<sup>39</sup>

بالرغم من كون الغرب المصدر الرئيس للمعرفة والمعلومات، فإن التهجين يمكن النظر إليه بوصفه القدرة على المزج بين أجزاء المعلومات المختلفة وإدخالها ضمن النسيج الرئيس الأصلي. وسيكون بإمكان الناتج الأخير أن يقوم بتحديد الهيمنة الغربية. الصحفي هو أشبه بالنخبة المثقفة بشكل عام؛ فهو مروجّ للحدثة: إنه يعرف لغة الآخر، وبإمكانه الكشف عن المعنى الحقيقي للرسائل الخارجية، والقراءة ما بين السطور، وتحديد مدى فائدة الإشارات الضمنية الواردة أو عدمها لمشروع التحديث بالنسبة للثقافة الأصلية المحلية. التناقض إذاً، هو السمة الرئيسة للعلاقة مع الغرب، كمصدر للإلهام في سبيل تطوير المنتج الصحفي وتحديثه. يمكن للصحفيين العرب أن يتماثلوا بشكل إيجابي مع الممارسات الصحفية الغربية، وفي الوقت نفسه، يناهون بأنفسهم سلبياً عن تلك الممارسات بالذات. يعمل هذا التماثل الإيجابي كأساس للشرعية والمصداقية، بينما يكون النأي السلبى تأكيداً على الدور الاستقلالي الذي تلعبه الصحافة ضمن سياقها الخاص بها. أكدت الدراسات الوطنية المتقاطعة<sup>40</sup> إمكان توحيد

مفهوم الصحافة من زاوية التقاطع الثقافى. يبدو أن النموذج الأنجلو-أمريكي هو النموذج السائد كما هو مبين فى الاستطلاع الذى أجري بين الصحفيين الأستونيين الذين يقومون بدور "الكلب الحارس"<sup>41</sup>. لقد كان هذا هو المنظور الذى أكد زياني من خلاله أن قناة الجزيرة كنموذج لهذا التهجين "عالقة بين نهجين. فمن ناحية، تستخدم القناة أفضل المهارات التقانية والممارسات الصحفية التى يمكن أن يقدمها الغرب؛ ومن ناحية أخرى، تستخدم هذه الوسائل والممارسات تحديداً من أجل الدفع بأراء وأفكار تتناقض مع الرواية الغربية والتعليقات الغربية على الأحداث والقضايا المختلفة التى تقود الشرق الأوسط إلى مركز الاهتمام الإخبارى العالمى، وتشكك فى مصداقيتها"<sup>42</sup>.

تمثل نتيجة التهجين إذاً، لحظة التقاطع بين مهمتها الداخلية: أى توجيه الجمهور وإحاقه بركب الأحداث، وتشجيع المشاركة الشعبية من جهة، وتبني الممارسات الخارجية للصحفيين استناداً إلى مدى سلطة هؤلاء فى الميدان الصحفى. وهو ما يبينه بشكل تقريبي الرسم 5.1.

الممثل الخارجى (الذى يمتلك رأسمال ثقافى)



الرسم 5.1 التهجين بصفته تقاطعاً بين الخارج والداخل

يتجسد أحد أهم الانتقادات للمفهوم الهايبرماسي للفضاء العام في الافتراض الضمني الذي يُعدُّ الهوية تصنيفاً ثابتاً<sup>43</sup> يتشكل مرة واحدة وإلى الأبد، وذلك قبل الدخول في عالم الفضاء العام<sup>43</sup>. وبما أن موضوع الهوية يقع في قلب الفضاء العام بصفته موقعاً للحوار العقلاني، فإن من الضروري البحث عن صيغة هوية ليس فقط الجمهور (المشاهد) الذي يشارك في حوارات ذات صلة بالأحداث الجارية، ولكن كما أُؤكد في هذا المجال أيضاً، هوية الصحفيين بوصفهم ممهدين مثل هذه الحوارات.

لا تتناول الفكرة التي طرحها هايبرماس حول الفضاء العام الحقيبة الثقافية الاجتماعية الخاصة التي يحملها أفراد الجمهور قبل أن يبدووا في الانخراط في التزاماتهم العامة<sup>44</sup>. يقوم الصحفيون بإجراء مشابه بصفتهم الجهة المنظمة لإنتاج الفضاء العام يشمل الهوية المهنية/المؤسسية والهوية الفردية المتوضعة في ثقافتهم الأصلية. وهكذا، كما يؤكد دالغرين، فإن "بإمكان الفرد نفسه أن يجمع في الوقت نفسه بين العديد من المواقع (حتى المتناقضة منها) بفضل الهويات المتعددة أو العضويات الجمعية التي ينتمي إليها"<sup>45</sup>، والتي تؤكد أهمية سياسة الهوية كمؤشر رئيس على المشاركة في الشؤون العامة. ومن ثمَّ يجب على عملية تحليل دور الصحفيين بصفتهم ممهدين و"وسطاء ثقافيين" أن تأخذ في الحسبان الطريقة التي يشكل فيها هؤلاء الصحفيون هوياتهم وتأثير هذه الهويات في عملية الوساطة في الحوارات العامة.

استخدم بيير بوردو<sup>46</sup> عبارة "الوسطاء الثقافيين" للإشارة إلى أولئك المنخرطين في فعل "التقديم والتمثيل"، وهو مفهوم لاقى اهتماماً متزايداً عند الباحثين في مجال الدراسات الثقافية (انظر على سبيل المثال، موضوع الدراسات الثقافية المكرس لهذا الموضوع)<sup>47</sup>. لن تتمحور دراسة الأخبار بعد الآن، استناداً إلى هذا المفهوم، حول نموذج البث البيئي لتدفق المعلومات والإنتاج؛ لكنها ستلقي الضوء على دور الصحفيين كوسطاء يقومون بتحديد إنتاج الأخبار واستهلاكها، وربط هذه الأخبار مع بعضها بعضاً. يجب أن يتم النظر إلى هذا ضمن سياق الفكرة السائدة منذ مدة طويلة حول دور الصحفي "كحارس للبوابة"<sup>48</sup>، في الوقت الذي يفترض أن "المواد الثقافية تظهر ببساطة أمام (بوابات) وسائل الإعلام، أو شركات الإنتاج الثقافى التي يمكن أن تسمح لها بالدخول أو تمنعها منه"<sup>49</sup>. لكن هذا يستثني انخراط الوسطاء في عملية البحث عن أنواع معينة من المعلومات ومحاولاتهم شرعنة إنتاجهم الخاص في الصحف العربية، مضيفين بذلك الشرعية على المنتج النهائي.

ترتبط الصحافة عادة بالمسؤولية الاجتماعية، كما يميل البحث في مجال الصحافة إلى التركيز على القاعدة نفسها<sup>50</sup>. وعلى الرغم من أنني لا أعارض هذا الرأي، فإن هدفي في هذا المضمرة لا يكمن في الرغبة في طرح مبادئ معيارية فيما يخص دور الصحافة. في رأيي، ليست وسائل الإعلام سوى جزء من العلاقة الجدلية والمتعددة الأوجه بين وسائل الإعلام والجمهور، أو بين وسائل الإعلام والمصادر التي

تستقي منها معلوماتها. إذا كان الباحثون يتوقعون قيام الصحفيين بالتحرك ضمن نطاق معين، فإنهم حينها يتعاملون مع الصحافة كتحصيل حاصل، بدلاً من طرح علامات استفهام حول أسس الممارسات الصحفية، وكذلك حول نظرة الصحفيين إلى موضوع الهوية المهنية. يجب أن يتم تحليل المؤسسات الاجتماعية استناداً إلى تأثيرها والنتائج المترتبة عنها، وكذلك استناداً إلى شرعية الأسس التي قامت عليها.

## الهوية الصحفية

الصحافة هي عملية فهم للواقع<sup>51</sup>. أصبح من المتعارف عليه الآن النظر إلى الصحافة بوصفها تلعب دوراً محورياً في تسهيل إقامة الحوارات السياسية وتنظيمها، ومن ثمّ المساهمة في بناء حياة عامة صحية. ينقل الصحفيون "شكلاً" من أشكال الواقع إلى جماهيرهم ومشاهديهم؛ وهم في ذلك يكرسون واحداً من الدالات الرئيسية لهويتهم المهنية باعتبارهم موضع ثقة الجمهور؛ وهو دور أكده منذ وقت طويل جوزيف بيلتزر الذي عدّ الصحافة "أكثر المهن روعة وجاذبية... فكل يوم يمر، يفتح أبواباً جديدة للصحفي الذي يتمتع بثقة الشعب ولديه القدرة على مخاطبته"<sup>52</sup>.

في قلب هذا الدور، تكمن مهمة نقل الحقيقة، والتأكيد على الموضوعية كمعيار سائد، على الأقل في النموذج الصحفي الأنجلو-أمريكي<sup>53</sup>. وهكذا فقد أصبحت الأخبار مظهراً من مظاهر "ثقافة الحقائق"<sup>54</sup>، حيث يكتسب (الحقيقي) موقفاً متميزاً. يتفق الصحفيون

الأمريكيون اليوم فيما بينهم الآن على أن التدقيق في المزاعم الحكومية هو جزء لا يتجزأ من المهمة الصحفية. يفرض هذا الأمر على الميدان الصحفي العربي ميلاً نحو التمسك بمبدأ الموضوعية في الوقت الذي يتم التأكيد من الإبقاء على مسافة آمنة بعيداً عن الذاتية أو إقحام العاطفة في هذا الميدان المهني؛ ومن ثمَّ الابتعاد عن الصورة النمطية القديمة للصحفي العربي كيقوق للقوى السياسية، ومجرد كاتب اختزال لممارساتها.

يشعر الصحفيون بالحاجة الملحة لتقديم أكبر كم ممكن من الحقائق خصوصاً عند تغطيتهم لأنباء الحروب والكوارث؛ كما يمكن أن ينتهوا إلى إعطاء أولوية للإعلان عن جداول وأرقام حتى قبل أن يتم إحصاؤها بشكل رسمي. يؤكد سبيتون<sup>55</sup> أن ذلك قد يكون مرده إلى حقيقة أن الأرقام، خصوصاً الكبيرة منها، تجذب انتباه الجمهور إلى حجم الكارثة أو المأساة التي تتم تغطيتها. إضافة إلى ذلك، أظهر التحليل الإخباري الذي أجراه ديك<sup>56</sup> أن بنية الخبر في العديد من الصحف في العالم، كانت تتسم ليس بالاختلاف بل بالتشابه. وهكذا، فإن العاملين في مجال الأخبار منهمكون في عملية "طقس نصي"، استطاعوا من خلاله إنتاج نصوص موضوعية ومحايدة صالحة لاستهلاك القارئ<sup>57</sup>. يُعدُّ فان ديك<sup>58</sup> استخدام الجداول والإحصاءات نوعاً من الأداة المتكلفة في الأخبار الجادة؛ لأن الجمهور لا مجال لديه كي يقدر أهميتها ومغزاها. وفوق هذا وذاك، تستخدم الأرقام بوصفها رمزاً من رموز الموضوعية في نقل القصص الإخبارية.

تُعَدُّ الموضوعية في واقع الأمر جزءاً لا يتجزأ من العملية الصحفية من خلال كونها جزءاً من الخبر كمنتج، ومن خلال كونها أيضاً جزءاً من الدور الذي يقوم به منتجها:

1 - الموضوعية بصفتها جزءاً من عملية الإنتاج: في معرض التزامهم بفكرة الموضوعية، يتعين على الصحفيين جمع "معلومات حقيقية"، والقيام بسعي حثيث من أجل وضع اليد على هذه المعلومات. كما يجب عليهم التصرف كشهود عيان على الأحداث، ومن ثمَّ تأمين مصداقية لمعلوماتهم.

2 - الموضوعية بصفتها جزءاً من الناتج الصحفي: يجب أن يُظهر نص الخبر (كمنط) هذه الموضوعية من خلال الابتعاد عن مطابقات نصية معينة ترتبط عادة بالأنماط الذاتية. وعليه، فلا ينصح باستعمال ضمير الأنا في النصوص الصحفية<sup>59</sup>. كما أن على النص القيام بعرض وجهتي النظر المتقابلتين.

3 - الموضوعية بصفتها جزءاً من الدور الذي يقوم به المنتج الصحفي أو النصي الإخباري: يجب أن يتصرف الصحفيون على أنهم مراقبون محايدون قادرين على نقل الحقيقة.

إضافة إلى ما تقدم، تجدر الإشارة إلى أن مراقبة البيئة السياسية والاجتماعية هي في صميم المهمة الصحفية التي تهدف إلى محاسبة المسؤولين. لكن بعض الباحثين<sup>60</sup> يؤكدون أن وسائل الإعلام الإخبارية

ازدادت ثقتها بنفسها على حساب غياب الثقة بالسياسيين، والشكوك المتزايدة والسخرية التي يشعر بها الناخبون تجاههم، وهو ما يشجع الناخبين على الابتعاد عن المشاركة في العملية السياسية. يظهر ذلك جزئياً من خلال الزيادة الملحوظة في كم الأخبار السلبية في العقود القليلة الماضية. فبينما كانت وسائل الإعلام الأمريكية في عقد الستينيات من القرن الماضي على سبيل المثال، تستخدم كمنصة للسياسيين للتواصل مع ناخبهم بشكل مستفيض، فإن العقود التالية شهدت زيادة ملحوظة في الوعي بسلطة الصحافة؛ وهو ما دفع الصحفيين إلى تبني مهام جديدة في مجالهم المهني كمراقبين ومدققين لمدى مصداقية البيانات السياسية ونزاهتها ودقتها<sup>61</sup>. احتل هذا الدور الجديد للصحافة موقع الريادة بسبب التحقيقات حول فضيحة ووترغيت التي شكلت فتحاً جديداً في مهنة الصحافة ودعموا قوياً لهذا الدور الجديد المناط بها. منذ عقد الثمانينيات من القرن الماضي إلى الآن، تحولت الصحافة الأمريكية الناقدة إلى ممارسة انتقادات روتينية للسياسيين الذين ينظر إليهم باعتبارهم أعداء للصحفيين<sup>62</sup>. أضاف هذا الأمر جرعة أخرى من عدم الثقة التي يشعر بها الجمهور تجاه المؤسسات السياسية بالرغم من أن السياسيين كما يؤكد باترسون، استطاعوا تحقيق الوعود التي قطعوها على الناخبين في أثناء الحملات الانتخابية.

تجد سلطة التحقيق هذه قوتها الحقيقية من خلال النأي بنفسها عن السياسة؛ ولذلك فهي تتحول إلى "سلاح تحقيق" بيد الشعب بدلاً من أن تكون أداة بيد الحكومة. أثرت هذه النقطة في البرامج الحوارية

التي بُتَّت مؤخراً بعد التفجيرات التي وقعت في السابع من شهر تموز، يوليو؛ وتحديداً، في المقابلة التي تمت في برنامج Newsnight مع أعضاء في المنظمة الإسلامية المتطرفة التي تطلق على نفسها جماعة (الغرباء). فقد طلبت الشرطة البريطانية من البرنامج تسليمها مادة المقابلة والملاحظات المدونة فيها، وهي بذلك قدمت للصحفيين "جواز مرور أعطاهم حرية الحركة"<sup>63</sup>، من أجل توجيه أسئلة للناس، والتدقيق في سلطة الدولة السياسية. هذه الهوية تشكل الثقل الموازي للرأي القائل بأن الصحفيين ليسوا سوى "دمى تحركهم المصالح"<sup>64</sup>.

بعد أن أنيط بوسائل الإعلام الإخبارية الدور المهم المتمثل في القيام بدور الوسيط في الفضاء العام الحديث، فقد بدأت تلك الوسائل بممارسة قدر كبير من السلطة من خلال تقديم شهادات توثق لأحداث مثل خرق حقوق الإنسان في الدول الأخرى، والحنث بالوعود السياسية، وخرق المعاهدات الدولية المتعلقة بالحروب؛ ومن ثمّ فقد قامت بمأسسة فعل المراقبة. وهكذا فقد بدأ الصحفيون يمارسون دوراً جديداً بصفتهم شهود عيان يقومون بتوثيق تاريخي في الوقت الذي يؤكدون شرعية موقعهم كمدققين للواقع السياسي. وكان عمل الصحفيين كصلة وصل بين السياسيين والمواطنين قد عزز من موقعهم كحراس ليس فقط لبوابات المعلومات، بل لبوابات المشاعر أيضاً<sup>65</sup>.

ركزت الدراسات التي أجريت مؤخراً على سياسة الهوية داخل المنظومة الصحافية. فقد قام فان زونين<sup>66</sup> على سبيل المثال، بتحليل الهوية الصحافية التي تعمل كنموذج يستند إلى بُعدين اثنين: الجنسية

والهدف. يرتبط الأول بالمعارضات الثنائية بين الذكورة والأنوثة) ، بينما يتوزع الثاني بين المؤسسة والمشاهدين بصفتهم هدفاً للعمل الصحفي. يرى زونين نتيجة لذلك أن "الهوية التنظيمية" متوزعة بين التوتر الناجم عن الذاتية (الجنس والعمر والتعليم والانتماء العرقي.. إلخ). من جهة، وبين البنى (المهنة والأخلاق والفضاء والمصادر.. إلخ)، ويدعو إلى القيام بتحليل "للهوية" التنظيمية بدلاً من تحليل "الدور" التنظيمي؛ لأن مفهوم الدور "محدود جداً وغير مستقر؛ ومن ثم فهو غير قادر على الإحاطة بذلك الخليط الخاص المكون من عناصر البنية والذاتية التي تكون في متناول يد الصحفي في أدائه اليومي"<sup>67</sup>.

إضافة إلى ما سلف، يقدم كارينتيير<sup>68</sup> تحليلاً لبنية هوية الصحفيين المهيمنة، والمناهضة للهيمنة مستخدماً نظرية الخطاب التي طرحها كل من لاكلو وموف، التي تعمل على مستويين اثنين: المستوى الاستطراذي والمستوى السياسي؛ حيث إن المستوى الأول يعمل ضمن مجموعة من النقاط العقدية، بينما يعمل الثاني ضمن مفهوم الهيمنة. وإذاً، فإن نقاط التعريف (العقدية) هي التي تحدد شكل الهويات؛ وتتمتع بعض هذه النقاط بموقع متميز يمكنها من أن تدخل في دائرة التطبيع. ولكن في المقابل، هناك هويات معاكسة تعمل بصفقتها نقاط تعريف مناهضة للهيمنة.

يضع كارينتيير الموضوعية في مستوى معين يؤكد من خلاله مفهومي الحقيقة والحيادية، ويربطها بهوية الصحفي المستقلة نسبياً بصفته "كلب حراسة"، كما يقاربها على المستوى الآخر بالتعريفات

الذاتية للصحفي بصفته معلقاً وأيديولوجياً. وهكذا، يستطيع الصحفي (أو أي ممثل آخر في واقع الأمر) أن يتبوأ موقعاً في أي من تلك النقاط من دون أن يهمل بالكلية التحديد المهيمن للهوية المهنية.

إن ما تبينه هذه الدراسات باختصار، هو أن هوية الصحفي تستند إلى جملة من الأدوار ونقاط التعريف الدالة على الموضوعية (أي التفسير الطبيعي والحيادي للأحداث) والذاتية (بصفته معلقاً على الحقيقة ومحققاً من أجل الحصول عليها).

ولكن كيف يتجلى دور الصحفي في النص الإخباري؟ وهل من الممكن عرض تهجين هذين الدورين (دور المراقب الحيادي ودور المعلق على الحقائق) في التحليل النصي لعينة من الأخبار؟ فوق هذا وذاك، هل من الممكن تمثيل الدور الهجين الذي تقوم به وسائل الإعلام العربية ذات البعد القومي كالنوع الذي واجهه جانوس في نظرته إلى الخارج العالمي والواقع الداخلي؟ لكي يمكن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة، فإنني أطرح دراسة استقصائية للنصوص الإخبارية في محاولة مني لتقديم نموذج عن سياسة الهوية من الناحية العملية. أتبنى بهذا المعنى، إستراتيجية بحثية تتناول أمثلة عملية بدلاً من اللجوء إلى النظريات الكبرى حول هذا الموضوع من أجل الوصول إلى نقاط جديدة<sup>69</sup>. أقدم فيما تبقى من هذا الفصل مصادر تجريبية أستخدمها في دراستي الميدانية هذه، وهذه المصادر هي بالتحديد الصحافة المهاجرة كمثال عن وسائل الإعلام المهجنة. كما أقدم هذا التحليل بتفصيل أكبر، في الفصل السادس من هذا الكتاب.

## مَعْلَمٌ صحفي

يبحث التحليل التالي في بناء الهوية في المنتج الصحفي نفسه؛ أي النص الإخباري. يتمثل العامل الحاسم في هذا الصدد في الوسائل التي يتم بواسطتها إنشاء نقاط التعريف، والتأكيد مثلاً على صوت الصحفي أو صوت المؤسسة الإعلامية، إضافة إلى العلاقة بين الصحفيين والمصادر التي يقومون بتغطيتها.

وبدلاً من انتقاء نصوص إخبارية بصورة عشوائية، فإنني أركز على أخبار الحرب. تمثل التقارير الواردة من مناطق الحروب بشكل خاص حدثاً استثنائياً يمكن أن يستخدمه الصحفيون كي "يبتثوا هذه التقارير على الهواء مباشرة، وكذلك لكي يتحدوا القيود المفروضة على ممارساتهم ويفرضون إعادة النظر في تلك القيود. فالرپورتاج الذي يتناول حرباً معاصرة كحرب الخليج على سبيل المثال، يُحكّم عليه من خلال مقارنته بتجارب تغطية أخبار الحرب العالمية الثانية أو حرب فيتنام"<sup>70</sup>. بهذا المعنى، "يؤدي مثل هذا الخطاب إلى خلق معايير خاصة بالسلوك المهني يمكن أن تكون مقياساً لتقويم الأخبار اليومية"<sup>71</sup> بالنسبة للصحفيين. قمت باختيار نماذج من النصوص الإخبارية التي نشرت خلال الحرب على العراق سنة 2003، كدراسة ميدانية تمثل دور الصحفيين العرب في هذه النصوص.

يركز هذا التحليل بصورة خاصة على تهجين الأدوار، وكذلك على طبيعة الخطابات كما ظهرت في تلك النصوص الإخبارية التي اقتُبست من صحف عربية قومية تصدر في لندن كأمثلة عن وسائل الإعلام المهجنة (أي وسائل إعلام المهجر).

تميل الدراسات الحديثة التي تتناول وسائل الإعلام الإخبارية العربية إلى طرح فرضيات حول دور وسائل الإعلام تستند إلى مناقشات نظرية بدلاً من تقديم أمثلة عملية صادرة عن أنماط إخبارية ووثائقية متنوعة<sup>72</sup>. أعتقد أن المساعي الفكرية يجب أن تكون دائمة الحركة بين النظرية والتطبيق، أو بين الأفكار المجردة والأمثلة المادية، كوسيلة وحيدة لتوفير أساس متين لحوارات مستقبلية.

توفر النصوص الإخبارية مادة غنية لدراسة البعد الأخلاقي في نقل الأخبار<sup>73</sup>، وفي تمثيل الهوية الوطنية<sup>74</sup>، أو عند تقديم أمثلة عن الهيمنة الثقافية<sup>75</sup>. من المنطوق نفسه، اخترت أن أقتصر في التحليل التالي على الدور الذي يلعبه الصحفيون كما تبينه النصوص الإخبارية، وكذلك العلاقة بين الصحفيين وبين مصادرهم. هذا لا يعني بأي حال أن التحليل النصي يُعدُّ في حد ذاته أسلوباً كافياً لكشف سياسة الهوية في أثناء أدائها لمهمتها؛ على العكس من ذلك، إن مثل هذا التحليل يحتاج إلى دعم من قبل النتائج ذات الصلة الصادرة عن ميادين عمل منتجي الأخبار.

إضافة إلى ما تقدم، لا تهدف هذه الدراسة الميدانية إلى إبراز المواقف الإيجابية أو السلبية أو الحيادية تجاه قوى التحالف، كما قامت به بعض الدراسات التي أجريت مؤخراً، على سبيل المثال. أعتقد أن هذا النوع من التدوين يمكن أن يستخدم فقط كوسيلة لتكريس الصورة السلبية التي تصور بها بعض البلدان أو المناطق، من دون التعرض للقضايا التي توضح سبب وجود مثل هذه السلبية في المقام الأول. هذه

النقطة لها أهمية خاصة في الحوارات التي دارت مؤخراً حول الشرق الأوسط الذي تلقى كماً كبيراً من المساعدات من كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. وكانت إحدى نتائج الهجمات التي وقعت في الحادي عشر من أيلول، سبتمبر سنة 2001 أن حكومة الولايات المتحدة قررت وقف بعض برامج المساعدات، أو تقديمها فقط بشرط إيقاف الحملات المعادية للولايات المتحدة في وسائل الإعلام. ليس هذا هو المكان المناسب للخوض مطولاً في تفصيلات التأثير الذي أحدثته هذه الشروط؛ ولكن يكفي القول إن تدوين ما هو إيجابي أو سلبى أو محايد ربما لا يعكس الكيفية التي يستجيب فيها الجمهور العريض للمواقف السلبية أو الإيجابية في الأخبار.

لنفترض على سبيل المثال، أن تغطية أخبار الولايات المتحدة في وسائل الإعلام الإخبارية العربية هو إيجابي بنسبة 60 في المائة؛ هل يعني هذا أن غالبية العرب ينظرون إلى الولايات المتحدة وإلى سياستها نظرة إيجابية؟ إن التغطية الإيجابية لمشروعات التنمية في المنطقة مثلاً، يمكن أن تفرض شعوراً إيجابياً تجاه الحكومات العربية في المنطقة. أظهرت دراسات سابقة في واقع الأمر، أنه حتى في الديمقراطيات الغربية كالدانمرك مثلاً، لا تستطيع وسائل الإعلام الإخبارية، التي يمكن أن تكون إيجابية حول موضوعات بعينها، بالضرورة التأثير في الجمهور بحيث يقوم هذا الأخير بالتصرف بطريقة مختلفة؛ فقد أظهر جنسن<sup>76</sup> على سبيل المثال، أن غالبية الدانمركيين صوتوا في الاستفتاء ضد مشروع معاهدة ماستريخت التي طرحها الاتحاد الأوروبي بالرغم من أن تلك المعاهدة لقيت صدى إيجابياً في وسائل الإعلام الدانمركية.

يتناول التحليل التالي نماذج من النصوص الإخبارية حول الحرب على العراق (منذ سنة 2003 حتى الوقت الحاضر)، ويهدف إلى عرض الأدوار المتنوعة للصحفيين كما هو مبين في المنتجات الصحفية (أي الأخبار). تظهر هذه الأدوار التي تمت صياغتها فيما تقدم، نوعاً من التهجين أو خليطاً من مؤشرات التعريف (المؤشرات الموضوعية مقابل المؤشرات الذاتية)، وسوف يتوسع التحليل التالي في الحديث عن هذا التهجين للأدوار والخطابات كما هو مبين في النصوص الإخبارية من خلال استعراض نماذج من الصحف العربية القومية المهجنة.

دعوني أبدأ أولاً، بمناقشة مختصرة لظاهرة الصحافة المهاجرة كوسائل إعلامية مهجنة تجمع بين التقانات الغربية والاهتمامات المحلية؛ وسأقوم خلال ذلك بالتركيز على ثلاثة تواريخ خاصة في تغطية الحرب على العراق.

### الصحافة المهاجرة بصفتها وسائل إعلامية مهجنة

استضافت لندن وباريس على وجه الخصوص عدداً مما أطلق عليها الصحف العربية القومية. لكن ظاهرة النشر خارج منطقة الشرق الأوسط ليست جديدة؛ لأن الموجة الأولى لهذه الظاهرة بدأت في القرن التاسع عشر<sup>77</sup>، مع فرار الصحفيين من الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلدانهم الأصلية. تلت تلك الموجة موجة ثانية في منتصف السبعينيات من القرن العشرين. يظهر أبو زيد<sup>78</sup> في معرض مقارنته بين الموجتين الأولى والثانية أن الموجة الأولى تضمنت

منشورات تم تهريبها إلى مناطق أخرى، إضافة إلى منشورات هربت من صراعات دينية وعرقية في بلدانها الأصلية، لكنها بقيت في المنطقة نفسها، بينما اقتصرَت الموجة الثانية على الهجرة إلى بلدان خارج نطاق المنطقة العربية. بدأت بعض هذه الصحف العربية التي تصدر في لندن (وربما في مدن أخرى أيضاً) الآن بالعودة إلى المنطقة العربية في محاولة لتقليص الكلفة العالية لطباعتها ونشرها في الخارج. إضافة إلى ذلك، لم تعد التقانة التي كانت تستخدمها في مراكزها الرئيسية في الغرب ذات جدوى نظراً لانتشار هذه التقانة في العالم كله، بما في ذلك المنطقة العربية<sup>79</sup>، وذلك بالرغم من الرقابة التي لا تزال تمارَس بشكل أو بآخر في الدول العربية.

من بين هذه الصحف، هناك ثلاث صحف على وجه الخصوص احتلت نسبة عالية من التوزيع، وتمثل منتديات حوارية لقضايا مهمة تشغل بال القارئ العربي<sup>80</sup>: وهذه الصحف هي (الحياة) و(الشرق الأوسط) و(القدس العربي). تدخل هذه الصحف، بالإضافة إلى النسخة العالمية من صحيفة (الأهرام) ضمن نطاق هذه الدراسة الميدانية كنماذج لصحف النخبة، وتستخدم عادة كمواد مناسبة؛ لأن وسائل الإعلام الراقية تقدم عادة تغطية شاملة للأخبار الخارجية سواء في النصوص الإخبارية وكذلك، التعليقات عليها<sup>81</sup>، ومن ثمَّ فهي تمثل مصدراً تهل منه أجندة محطات إعلامية إخبارية أخرى في المنطقة. إضافة إلى ذلك، تتمتع الصحافة الراقية بسمعة طيبة؛ وهذا يشكل في حد ذاته دافعاً لمراسليها كي يقدموا تقارير إخبارية

موضوعية ومتوازنة<sup>82</sup>. تشكل الصحافة الراقية أيضاً عنصر جذب لشرائح القراء "المفتونين بظاهرة العولمة"؛ ومن ثمَّ فإن تلك الصحف تميل نحو استخدام مقاربة أكثر "عولمة" مما تقوم به الصحف ذات الطابع المحلي؛ ناهيك عن أن الصحافة الراقية يعمل لديها عادة عدد من المراسلين أكبر بكثير من عدد المراسلين العاملين في الصحف المحلية.

إضافة إلى ذلك، بعض الصحف المهاجرة (كالحياء والشرق الأوسط) يقوم بتمويلها رجال أعمال سعوديون يقومون بممارسة سياسة العصا والجزرة في مسألة التحكم بالآراء المطروحة على صفحات هاتين الصحيفتين<sup>83</sup>. أما صحيفة (الأهرام) فتمتلكها شركة مصرية عامة؛ كما أن صحيفة (القدس العربي) هي الصحيفة العربية الوحيدة التي تصدر في لندن، والتي لا يمولها متنفذون سعوديون؛ وهذا يجعل من تحليل محتويات هاتين الصحيفتين مسألة مثيرة للاهتمام.

إن تناول هذه الصحف الأربع يشكل استجابة للدعوة التي أطلقت مؤخراً<sup>84</sup> والمتضمنة إجراء مثل هذه الدراسات المقارنة لكي يماط اللثام عن أوجه الاختلاف في محتوى وسائل الإعلام العربية. ولكن دعوني أبدأ بتقديم عرض مختصر لكل من تلك الصحف التي تتضمنها هذه الدراسة الميدانية، مشيرة إلى تاريخ كل منها، ونوعية قرائها والدور الذي تلعبه مثل هذه الصحف في المشهد الإعلامي.

## صحيفة الحياة

تأسست صحيفة الحياة بعد الحرب العالمية الثانية، وتزامن تأسيسها مع تموضعها في مجمع حديث. في بداية الخمسينيات من القرن العشرين، كانت صحيفة الحياة الأكثر توزيعاً بين الصحف التي تصدر من خارج القاهرة في ذلك الوقت<sup>85</sup>. وتعدُّ صحيفة الحياة جنباً إلى جنب مع صحيفة الشرق الأوسط من أكثر الصحف رقيماً ونفوذاً في المملكة العربية السعودية. وبالرغم من أن الصحيفتين تصدران خارج المملكة، فإنهما تخضعان لدرجة الرقابة والقيود نفسها التي تخضع لها الصحف المحلية؛ أي أنه من غير المسموح لهما البتة مهاجمة الإسلام<sup>86</sup>.

أسس كامل مروة (اللبناني) هذه الصحيفة سنة 1946، لكنه وجد نفسه مضطراً لإغلاقها سنة 1976 على أثر اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية. أعيد إطلاق الصحيفة من جديد سنة 1988، وهذه المرة كانت الانطلاقة من لندن بفضل تمويل تلقته الصحيفة من الأمير السعودي خالد بن سلطان<sup>87</sup>. يُعدُّ محررو الصحيفة أن منع الصحيفة من التداول في بعض الدول العربية من حين لآخر هو مؤثر على استقلالية الصحيفة بالرغم من أن منع تداولها في السعودية على وجه الخصوص يشكل خسارة هائلة بالنسبة للصحيفة<sup>88</sup>. تصدر صحيفة الحياة ملحقاً أسبوعياً يدعى (الوسط) الذي أطلق لأول مرة كمجلة منفصلة سنة 1992<sup>89</sup>، إلا أن حجم التوزيع وكَم الإعلان فيها كان أضعف من توزيع صحيفة الحياة أو الإعلان فيها. لم يكن اختيار كلمة (الوسط) كعنوان لهذه المجلة مصادفة أو اعتباطياً؛ فبحسب ما صرح به أحد المحررين

العرب، فإن: "هذا العصر هو عصر الوسطية؛ إنه عصر الوسط بين نهاية نظام عالمي وبداية نظام عالمي جديد... ومن ثمّ، لم يعد هناك يمين أو يسار"<sup>90</sup>. تركّز هذه المجلة في الغالب على موضوعات سعودية ومصرية، متجاهلة بذلك حتى الموضوعات اللبنانية<sup>91</sup>.

صحيفة الحياة معروفة بحياديتها في تناولها للقضايا العربية المهمة، إلا عندما يتعلق الأمر بقضايا تُعدُّ حساسة بالنسبة لوجهات النظر السعودية. من الناحية التقنية، تُعدُّ صحيفة الحياة الأقرب من حيث الشكل إلى الصحف الغربية من خلال استعمالها للصور الملونة على سبيل المثال. كما توفر هذه الصحيفة منتدى لأصحاب الآراء المختلفة من إسلاميين وقوميين عرب... إلخ<sup>92</sup>.

من خلال مراسلاتي مع صحيفة الحياة، أحطت علماً بأن هذه الصحيفة هي "الصوت الأكثر موضوعية وجرأة في الصحافة العربية العالمية." إضافة إلى ذلك، تهدف هذه الصحيفة إلى جعل نفسها الخيار الأول بالنسبة للعرب الذين يعيشون خارج المنطقة العربية، والخيار الثاني للعرب في المنطقة العربية بعد صحفهم اليومية المحلية.

أما بالنسبة لجمهور القراء الذين تتوجه إليهم هذه الصحيفة، فإن صحيفة الحياة تصفهم بأنهم "من الذكور الناطقين بالعربية الذين تتجاوز أعمارهم عشرين سنة من ذوي التعليم العالي والدخل المرتفع"، والمنتسبين إلى النخبة الفكرية والباحثين والسياسيين وما شابه ذلك. تصدر الصحيفة في لندن وتوزع في أكثر من خمس وثلاثين دولة، وتطبع في تسع مدن مختلفة. أغلب الصحفيين العاملين فيها

يحملون شهادات جامعية في الصحافة، ويتم الاقتباس منهم بين الحين والآخر في الصحافة الغربية. بلغ حجم توزيع الصحيفة سنة 2002، ما مجموعه 196800 نسخة. تُعدُّ السعودية السوق الأكبر بالنسبة للصحيفة، حيث يوزع فيها مقدار النصف تقريباً من النسخ المطبوعة منها يومياً (أي نحو 100200 نسخة). أما التوزيع في أوروبا (16200 نسخة) فيعادل كل ما يوزع في بلدان المشرق العربي (نحو 16750 نسخة في كل من لبنان والأردن وسورية). وتُعدُّ مصر والولايات المتحدة ثاني أكبر سوق لصحيفة الحياة، حيث يوزع في مصر 9500 نسخة وفي الولايات المتحدة 8200 نسخة).

### صحيفة الشرق الأوسط

أطلقت شركة الدراسات والتسويق السعودية هذه الصحيفة سنة 1978 من لندن. استخدمت الشركة آخر ما توصلت إليه التقانة حينها من أجل إخراج وطباعة هذه الصحيفة، وقامت بتعيين رئيس تحرير صحيفة الحياة السابق، جهاد الخازن، رئيساً لتحريرها. تصدر هذه الصحيفة في وقت متزامن في العديد من المدن الغربية والعربية مثل القاهرة وبيروت وفرانكفورت ونيويورك ومرسيليا. أما الآراء التي تطرح في هذه الصحيفة فهي متنوعة، ويُزعم أن عدد قرائها يتجاوز أرقام تسويق هذه الصحيفة<sup>93</sup>. تُعدُّ هذه الصحيفة، الصحيفة السعودية الأولى التي تصدر في الخارج، كما يزعم أنها الأكثر توزيعاً بين الصحف اليومية العربية القومية، وتحتوي على كم كبير من الإعلانات<sup>94</sup>.

أطلقت صحيفة الشرق الأوسط على نفسها لقب " صحيفة العرب الدولية"<sup>95</sup>. قام بتأسيس هذه الصحيفة شقيقان سعوديان، هشام ومحمد الحافظ؛ وكان أبوهما وعمهما قد عملا في المجال الصحفي، وسبق لهما أن أطلقا سنة 1937 صحيفة أسماها صحيفة (المدينة). حولت الحكومة السعودية الإدارة العامة للإذاعة والصحافة والنشر إلى وزارة الإعلام، وأناطت بها مسؤولية تنظيم ملكية الصحافة. أوصت اللجنة باعتماد أحد حلين: قصر الإعلانات الحكومية على واحدة من كبريات الصحف (صحيفة أم القرى التي تأسست سنة 1924) وصرف تعويض لقبية الصحف من خلال تمويل سري، أو تحديد ملكية الصحف لبعض المنظمات تاركة للحكومة الحق في منح التراخيص للصحف وتعيين رؤساء التحرير. اختارت الحكومة السعودية الحل الثاني الذي تم وضعه موضع التنفيذ سنة 1963<sup>96</sup>. وبعد أن تغيرت قوانين الصحافة السعودية، نقل الأخوان حافظ نشاطهما إلى لندن، حيث قاما بابتعاث شركة British Central Press Photo وأصدرا من هناك صحيفة الشرق الأوسط في محاولة منهما لتكرار النجاح الذي حققته صحيفة International Herald Tribune كصحيفة عالمية<sup>97</sup>.

يركز المضمون الإخباري في صحيفة الشرق الأوسط على أخبار السعودية ومصر ولبنان والخليج والقضية الفلسطينية. كما أن معظم الكتاب الذين يعملون فيها هم من السعوديين والمصريين، ويليهم كتاب من لبنان والمناطق الفلسطينية<sup>98</sup>. أكد مالكا الصحيفة أنهما يتجاهلان الأخبار عن السعودية بشكل متعمد كي لا يربطوا صحيفتهما بوجهات

النظر السعودية. يؤكد أبو زيد<sup>99</sup> أن الصحيفة تتبنى وجهة النظر السعودية بالرغم من محاولتها الظهور بمظهر المحايد (ومن ثمّ فهي تعكس سياسة السعودية الخارجية التي تتصف بالحيادية). يرفض مالكا الصحيفة وصف صحيفتهما أو أيّ من منشوراتها بالصحافة المهاجرة، مؤكدينّ أنهما لم يهاجرا قط من السعودية. أما السبب الذي حدا بهما لإطلاق الصحيفة من لندن على حد قولهما، فهو للتأكيد على موقف الصحيفة المحايد حيال القضايا العربية، زاعمين أن كل نسخة محلية تعكس السياسة الوطنية للبلد الذي تصدر منه. أما هدف المالكيين الرئيس فيكمّن في جعل هذه الصحيفة "خياراً ثانياً" للعرب الذين يعيشون داخل العالم العربي وخارجه، وكذلك للسياح العرب في الخارج<sup>100</sup>.

### صحيفة القدس العربي

أطلقت هذه الصحيفة سنة 1989 بإدارة عبد الباري عطوان، الفلسطيني المولد؛ وليس لصحيفة القدس العربي سوى حفنة من المراسلين في لندن؛ لكنها استطاعت مع ذلك، أن تلعب دوراً مهماً بين المقيمين العرب في الخارج<sup>101</sup>. يكمن أحد أهم ملامح هذه الصحيفة في أنها تكرر يومياً صفحة كاملة لترجمة مقالات وآراء من الصحف الإسرائيلية. لا تتلقى الصحيفة تمويلاً من السعودية وهو ما جعلها (بحسب رأي أترمان)<sup>102</sup> أكثر حرية في انتقاد السياسات الخليجية؛ لكنها تعتمد في تمويلها بدلاً من ذلك على ما تتلقاه من منظمة التحرير الفلسطينية؛ ومن ثمّ فإنّ حريتها تخضع لضوابط تملئها سياسة

مموليها. يؤكد أبو زيد مثلاً أن هذه الصحيفة هي بشكل رئيس،  
ناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية<sup>103</sup>. لكن غريب<sup>104</sup> يؤكد  
من ناحيته أن صحيفة القدس العربي تنتقد أحياناً سياسات السلطة  
الفلسطينية. كما يصفها بالصحيفة "الجريئة" التي تكرر حيزاً  
كبيراً من صفحاتها للقضايا العربية، وتفسح المجال في صدر صفحاتها  
لمنتدى يمثل جملة واسعة من الآراء العربية المختلفة التي تمثل قطاعات  
مختلفة من العرب. ينظر إلى صحيفة القدس العربي عادة، بوصفها  
"أكثر الصحف العربية عروبية"<sup>105</sup>.

صحيفة القدس العربي هي الصحيفة المهاجرة الرابعة التي تطبع  
في لندن بعد صحيفة (العرب) وصحيفة (الشرق الأوسط) وصحيفة  
(الحياة). تركز هذه الصحيفة على الموضوعات الفلسطينية وتتوجه  
إلى الفلسطينيين المقيمين في الخارج، وأيضاً إلى آخرين مهتمين  
بالشأن الفلسطيني<sup>106</sup>. قال رئيس تحرير هذه الصحيفة مرة، إنه  
الفلسطيني الوحيد من بين العاملين في أركان هذه الصحيفة؛ ذلك  
أن فريق العمل فيها يتكون من جنسيات عربية مختلفة. ومن الجدير  
بالملاحظة أن الصحيفة لا تنشر سوى إعلان أو إعلانين في أي عدد من  
أعدادها (هذا إذا قامت بنشر إعلانات في المقام الأول)، وهو ما دفع  
أبو زيد<sup>107</sup> للتأكيد على أن هذه الصحيفة ناطقة باسم منظمة التحرير  
الفلسطينية التي تساهم في ميزانيتها، ومن ثم فقد ألقى بظلال من  
الشك حول استقلاليتها. ولكن، لكي يظهر استقلالية هذه الصحيفة،  
قام رئيس تحريرها بالإشارة إلى دعوات متكررة تلقاها من وسائل

إعلام إخبارية غربية مختلفة للتعليق على أحداث وموضوعات عربية مهمة<sup>108</sup>، مؤكداً أنه ما كان ليتلقى مثل هذه الدعوات لو لم تكن صحيفته تتحلى بالموضوعية<sup>109</sup>.

## صحيفة الأهرام

فرض الوضع السياسي السيئ في لبنان بما في ذلك الضغط المتزايد الذي مورس على اللبنانيين من قبل العثمانيين في القرن التاسع عشر على العديد من الصحفيين اللبنانيين الفرار إلى بلدان أخرى. هرب بعضهم إلى مصر التي حصلت على الاستقلال الذاتي بعد سنة 1832. أنشأ أولئك الصحفيون مهنة الصحافة في مصر، حتى إنهم احتكروا عملية نشر الصحف التي ما زال بعضها يصدر حتى يومنا هذا مثل صحيفة الأهرام وأسبوعية (المصور)<sup>110</sup>. أسست الأهرام سنة 1879 بواسطة شقيقين لبنانيين هما الأخوان تقلا<sup>111</sup>. أطلقت بداية كصحيفة أسبوعية تحولت إلى صحيفة يومية سنة 1881. انطلقت في بداية الأمر من الإسكندرية (حتى سنة 1899) قبل أن تنتقل إلى القاهرة<sup>112</sup>. كانت لدى هذين الأخوين الجنسية الفرنسية التي أفسحت لهم حيزاً من الحرية لتوجيه الانتقاد للحاكم العثماني لمصر (إسماعيل)؛ وهو ما أدى في بعض الأحيان إلى إغلاق صحيفة الأهرام بصورة مؤقتة<sup>113</sup>.

لعبت الأهرام منذ نشأتها دور مصدر المعلومات الرئيس حول العديد من القضايا المحلية والخارجية، ناهيك عن المقالات التحليلية حول مختلف الموضوعات<sup>114</sup>. استناداً إلى الإحصاءات التي جاء بها أياون<sup>115</sup>،

أثبتت صحيفة الأهرام موضوعيتها من خلال إعطاء أولوية قصوى للتقارير وليس للآراء الأيديولوجية. لكن بحسب أبوزيد<sup>116</sup>، استخدم مؤسس الأهرام هذه الصحيفة للتعبير عن ميولهما السياسية، كما فعلاً عندما غزا الجيش البريطاني مصر سنة 1882 (من خلال الترحيب بالجنرال البريطاني الذي قاد القوات البريطانية لاحتلال مصر).

تنتمي صحيفة الأهرام إلى دار نشر كبيرة، وهي واحدة من الدور الأربعة الأكثر نفوذاً في مصر<sup>117</sup>. هناك طبعة دولية لصحيفة الأهرام يعتمد مضمونها على الموضوع الوطني الذي تتم طباعته في مصر. وبحسب رأي غريب<sup>118</sup>، تصدر بعض الصحف العربية طبعات دولية ليست سوى نسخ عن الطبعة المحلية؛ ومن ثمّ فهي تخاطب بشكل رئيس المقيمين من الجنسية نفسها. لكن صحيفة الأهرام توزع على شرائح واسعة من العرب المقيمين في الخارج (في الولايات المتحدة وأوروبا تحديداً).

يصل توزيع الأهرام إلى نحو 900000 نسخة، وهو ما يجعلها في المرتبة الثالثة على المستوى الوطني، وفي المرتبة الثالثة والخمسين على الصعيد العالمي<sup>119</sup>. تنشر دار الأهرام للنشر عدداً من الصحف الأخرى باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية مثل الأهرام الأسبوعي، وبعض المطبوعات التخصصية باللغة العربية. يشار إلى هذه الصحيفة عادة في الدراسات الإعلامية ووسائل الاتصال المتعلقة بالشرق الأوسط<sup>120</sup>، بحكم أنها تمثل الاتجاه السائد، وبحكم كونها أيضاً "صحيفة مقروءة على نطاق واسع"<sup>121</sup>.

## تواريخ لا بد من تذكرها في حرب دولية

كما ذكرت آنفاً، يركز التحليل الذي قدمته في الفصل السادس على النصوص الإخبارية التي تناولت الحرب على العراق. اندلعت الحرب في التاسع عشر من شهر آذار، مارس، سنة 2003 (أو في العشرين منه نحو الساعة الرابعة فجراً بتوقيت بغداد). أطلق على العملية الأولى اسم "عملية تحرير العراق" التي استهدفت صدام حسين وبعض القادة العراقيين في بغداد. بعد انقضاء قرابة أسبوع على اندلاع الحرب، بدأت وسائل الإعلام الإخبارية العالمية تتناقل أنباء عن الخسائر المدنية الأولية، التي كان من المفترض أنها تتناقض مع ما كانت تقوله قوات التحالف حول الحرب من حيث كونها "حرباً نظيفة". صدر أول تقرير حول الخسائر البشرية في السابع والعشرين من شهر آذار، مارس سنة 2003، في أعقاب هجمات بالصواريخ على سوق النصر في بغداد. كان أحد التواريخ المهمة في فترة تلك الحرب هو التاسع من شهر نيسان، أبريل، سنة 2003، الذي شهد سقوط بغداد وسيطرة القوات الأمريكية على المدينة. أعلن عن انتهاء العمليات العسكرية رسمياً في الأول من شهر أيار، مايو، سنة 2003 بالرغم من أن بعض المعارك كانت لا تزال تجري حتى ذلك الوقت بين القوات الأمريكية والمتمردين العراقيين.

سوف يركز التحليل التالي على الروايات التي احتلت الصفحات الأولى بما أن الصفحة الأولى يمكن اعتبارها نافذة العرض بالنسبة لأي صحيفة، حيث تعرض فيها الأحداث الجديدة المهمة. وبالرغم من أن الفترة الممتدة من اليوم الأول للحرب (في التاسع عشر من شهر

آذار، مارس 2003) إلى حين الإعلان الرسمي عن انتهائها (في الأول من شهر أيار، مايو، سنة 2003)، تحتوي على كم كبير من النصوص الإخبارية التي يمكن استخدامها في عرضنا هذا، فإنه لا بد لي من تقليص هذا الخيار، ومن ثمَّ قصر هذا التحليل على نموذج متسق من التواريخ التالية:

التاسع عشر من شهر آذار، مارس، 2003 – اليوم الذي اندلعت فيه الحرب. تتناول المقالات المختارة التهيئة للحرب وأخبار الجنود الأمريكيين الذين يتخذون مواقعهم القتالية على مشارف الحدود العراقية.

السابع والعشرون من شهر آذار، مارس، سنة 2003 – الضحايا المدنية الأولى بين العراقيين. تتناول المقالات المختارة هنا إطلاق النار في الأحياء المدنية والمقاومة التي أبدتها وحدات الحرس الجمهوري.

التاسع من شهر نيسان، أبريل، سنة 2003 – سقوط بغداد. تتناول المقالات المختارة حول هذا اليوم الجهود التي بذلتها القوات الأمريكية لإحكام سيطرتها على بغداد، بعد الضربات الجوية التي وجهتها إلى فندق فلسطين حيث كان يقيم معظم الصحفيين الأجانب.

ركزت صحيفة القدس العربي بشكل عام على الحرب والضحايا التي وقعت بنتيجة تلك الحرب من وجهة النظر العربية. وهكذا فقد تم تقديم الحرب بصفتها الحدث العالمي الأبرز. يظهر تجميع هذه المقالات حركة في الفضاء، تنتقل هذه الحركة بين العراق وأوروبا والولايات

المتحدة. وكان لهذه الأخيرة على وجه الخصوص حضوراً بيبناً في كل تلك الفضاءات: في الفضاء العربي بسبب الحرب، وبسبب الجهود الأمريكية لمساعدة الأكراد في السيطرة على بعض القرى الصغيرة في العراق. أما صحيفة الشرق الأوسط، فقد حافظت على التركيز من الزاوية "العربية"، حيث وضعت فضاءها في تصرف البيانات الصادرة عن دول الخليج كالسعودية على سبيل المثال، وهي بيانات لم توفر لها مساحة كافية في الصحف العربية الأخرى. حاولت صحيفة الحياة من جانبها تقديم نظرة شاملة للحرب من جميع جوانبها، حيث كان التركيز يتم بشكل رئيس على الشعب العراقي العادي، بالإضافة إلى إجراء مقابلات ونقل اقتباسات من مصادر غربية وعربية. ومن تقارير المراسلين في بغداد والمدن العراقية الأخرى. ولكن بعكس صحيفتي القدس العربي والشرق الأوسط، كان الدور المصري يحتل عناوين الصفحة الأولى من صحيفة الأهرام. ويعزى هذا ببساطة إلى أن هذه الصحيفة هي بالدرجة الأولى، صحيفة وطنية بعكس الصحف الثلاث الأخرى التي تتناولها هذه الدراسة والتي تدعي أنها تلعب دوراً قومياً؛ وهكذا فكان من المتوقع أن تعكس صحيفة الأهرام آراء الحكومة الوطنية فقط. ولكن يمكن القول إن الصحافة المصرية ربما ترى أن مصر هي قائدة الأمة العربية، وأن تركيزها على الدور المصري ليس سوى جزء من هذا الخطاب.



كما أكدت في هذا الفصل، لا يُعدُّ المنطقُ، ضمن المعايير (الهابيرماسية) العالمية، الفكرَ الوحيدَ في الفضاء العالمي العام؛ بل يجب علينا أن ننتبه إلى موضوع المنطق بصفته جملة من القواعد الطارئة في الميدان الذي يتمفصل فيه. ومن ثمَّ فإنَّ النظر إلى الصحفيين من زاوية التقاطع الثقافي، على أنهم جماعة لها هدف واحد ورؤية موحدة يضع جانباً الفوارق والاختلافات فيما بينهم. وعليه، فإنني أدعو إلى تحليل علاقات السلطة التي تؤثر في الهوية المهنية للصحفيين كوسطاء في الحوارات العالمية.

قمت كذلك بتقصي طبيعة الدور الذي يقوم به الصحفيون من أجل تنظيم المشهد الإعلامي، مستندة في ذلك إلى فكرة التهجين التي تعطي للصحفيين دور الجسر الثقافي بين (الأخر) العالمي وبين الذات المحلية. تستند هوية الصحفيين كما بينت فيما سبق، إلى جملة من الأدوار التي تمزج بين الموضوعية (السرمد المحايد) وبين الذاتية (تفسير الحقيقة). سوف تكون هذه الأفكار النقطة التي أنطلق منها بعيداً باتجاه تحليلي النصي للروايات الإخبارية العربية التي ظهرت في الصحف إبان الحرب على العراق.

قدمت فيما سبق، المصادر التجريبية لهذا التحليل، التي كانت تحديداً، عينة مما يطلق عليها الصحف المهاجرة التي تصدر من لندن. أقدم في الفصل السادس، تحليلي بتفصيل أكبر، مُظهرة كيف تعكس النصوص الإخبارية الموقع الذي ينطلق منه الصحفيون العرب بالمقارنة مع نظرائهم الغربيين.